عفو النبي صلى الله عليه وسلم

برنامج مع الرسول

الحلقة الواحدة والعشرون

2021-05-03

مقدمة :

الدكتور بلال نور الدين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يا ربنا لك الحمد ، ملء السماوات والأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد .

والصلاة والسلام على نبينا المختار وعلى آله وصحبه الأطهار .

أيها الأخوة الأحباب ؛ نحن معاً في حلقة جديدة من برنامجنا : "مع الرسول" نرحب في مستهلها بضيفنا الدائم فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي .

السلام عليكم سيدي .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، بارك الله بكم ، ونفع بكم .

الدكتور بلال نور الدين :

أكرمكم الله سيدي ، وبارك لنا بحياتكم ، ونفع بعلمكم .

سيدي ؛ نتحدث اليوم عن عفوه وصفحه صلى الله عليه وسلم ، والسيدة عائشة رضي الله عنه تقول :

{ عن عائشة رضي الله عنها قالت : **مَا ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نِيلَ منه شيء قطّ فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل**

}

[أخرجه مسلم وأبو داود]

كان صلى الله عليه وسلم عفوّاً ، يصفح عمن أساء ، يحلم على من أساء ، إلا أن يكون الأمر يتعلق بشيء من دين الله عز وجل فينتقم لخالقه ، كيف نفهم عفوه وصفحه في ظل قول عائشة رضي الله عنها ؟

عفو النبي وصفحه صلى الله عليه وسلم :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

طبعاً نفهم هذا كله من منهج الله عز وجل ، الله يقول :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ** فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

[سورة الشورى]

فكل إنسان ، أو مؤمن إذا غلب على ظنه أن عفوه عن هذا المذنب يصلحه أرى أنه يجب أن يعفو عنه **(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ)** ، أما إذا كان شاباً طائشاً ، كان الحدث عن شاب طائش، وكان يسرع سرعة غير معقولة ، وسببت متاعب كثيرة لمن حوله ، فإذا عفونا عنه تابع انحرافه ، فإذا غلب على الظن أن هذا العفو يسيء إليه ينبغي ألا نعفو عنه ، فالقاسم المشترك إذا غلب على ظننا أن العفو عنه يصلحه ينبغي أن نعفو عنه ، أما إذا كانت النتيجة أن العفو عنه يزيده سوءًا فينبغي ألا نعفو عنه ابتغاء وجه الله ، كي نردعه من هذا العمل .

الدكتور بلال نور الدين :

ويعود ذلك للانتقام لله ، هنا ليس الانتقام شخصياً .

الفرق بين مقام الألوهية ومقام النبوة :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

المؤمن عنده حرية حركة ، وعنده هامش ، هذا الهامش لصالحه ، الله عز وجل خالق الأكوان ترك للنبي هامشاً ، هذا الهامش ليكون هناك فرق بين مقام الألوهية ومقام النبوة ، قال له :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى (1)

[سورة عبس]

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)

[سورة التوبة]

هذا الهامش ليؤكد بشريته ، أما الوحي المطلق فيؤكد أن الله عز وجل كماله مطلق .

الدكتور بلال نور الدين :

سيدي ؛ **((مَا ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله))**
هناك أخلاق الدعوة ، وأخلاق الجهاد ، هذا الخلط بينهما ؟

الفرق بين أخلاق السلم وأخلاق الحرب :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أخلاق السلم والحرب .

الدكتور بلال نور الدين :

يخلط البعض سيدي ، يحل أخلاق الحرب محل السلم .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

لا ، خطأ كبير ، الجهاد يقتضي القوة ، القوة والانتصار ، أما الحياة السلمية فتقتضي المودة ، والرحمة ، والعفو ، والإصلاح ، فحينما نأخذ قيم الجهاد إلى حياتنا السلمية نقع في خطأ كبير ، وحينما نأخذ المسالمة لعدو خارجي نقع في خطأ أكبر .

الدكتور بلال نور الدين :

وأخلاق الدعوة سيدي .

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)

[سورة النحل]

أخلاق الدعوة لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

(بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) أما الآية : **(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** المجادلة الإنسان ربط شخصيته بأفكاره ، فأنت إذا أردت أن تنتصر عليه فقط الانتصار ، ليس المقصود المجادلة ، أن تنتصر للحق ، لا بد من أن تكون ليناً معهم ، والدليل :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى** أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)

[سورة النحل]

حوار كامل **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) .**

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25)

[سورة النحل]

هل هناك أوضح من هذا ؟ فأنت الهدف ليس الانتصار ، الهدف نقل الحق للآخر ، فإذا كان يقتضي ذلك أن تتساوى معه انطلاقاً من تطمينه أنني لست مع أفكاري ، أنا مع الحق، وأنا لا أريد أن أخدش مشاعرك ، أريد أن أوصل الحق لك .

الدكتور بلال نور الدين :

إذاً سيدي حتى تتوضح الفكرة ؛ أخلاق السلم والدعوة : **(بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** والشدة شيء آخر :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ **وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73)

[سورة التوبة]

هذه في المعركة أثناء المعركة ، وليست في أثناء السلم كما يفعل البعض ويخلطون بين الأمرين ، جزاكم الله خيراً .

سيدي أيضاً من عفوه وصفحه ، يعلمون أن أبا سفيان ناصب النبي صلى الله عليه وسلم العداء ببداية الدعوة ، وحتى فتح مكة ، أي استمر في عدائه ، وجيش جيوشاً ضده ، ومع ذلك لما دخل مكة صلى الله عليه وسلم يقول :

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا بسرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان قريب منكم فاحذروه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلم يا أبا سفيان تسلم ، قال : يا رسول الله قومي قومي ، قال : قومك من أغلق بابه فهو آمن ، قال : اجعل لي شيئاً ؟ قال : **من دخل دار أبي سفيان فهو آمن** }

[أخرجه الطبراني]

ما هذه ؟

إعطاء كل إنسان مكانته :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

رفع مكانته ، الحقيقة :

{ عن عائشة رضي الله عنها مرَّ بها سائل فأعطته كِسْرَة ، ومَرَّ بها آخرُ عليه ثياب، وله هَيْئَة ، فأقعدتْه فأكل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أَنزِلوا الناسَ منازلهم** }

[أَخرجه أبو داود]

هذا زعيم مكة ، أنا حينما أعطيه شيئاً من مكانته أنا أسترضيه بطريقة ذكية جداً ، هذه نقطة مهمة جداً بالدعوة ، أي أعطِ كل إنسان مكانته .

ملك الروم عظيم ؟

{ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل : من محمد رسول الله ، إلى هِرَقْلَ عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى . وفي أُخرى: أن أبا سفيان أخبره ، قال : فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، ثم دعا بكتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، **مِن محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم** ؛ سلام على من اتَّبَع الهدى . أما بعد }

[أخرجه البخاري وأبو داود]

ليس عظيماً قطعاً ، لكن هكذا الأصول ، أن تخاطبه بمكانه ، برتبته ، بما يسميه من حوله ، تأسر قلبه بهذه الطريقة ، طريق ذكية جداً ، وأخلاقية .

الدكتور بلال نور الدين :

مع أنه سيدي كان في مكة ، من دخل المسجد فهو آمن ، من دخل داره فهو آمن ، النبي صلى الله عليه وسلم نشر الأمن في مكة ومع ذلك يضع له هذه المزية :

((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن))

ملك قلبه بذلك .

ولما دخل مكة فاتحاً ، ومئات السيوف تنتظر أمراً منه لتنقض على رقاب من ناصبوه العداء سنوات ، ونكلوا بأصحابه ، فكيف كان موقفه ؟

التخلق بأخلاق الله :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

وكان بإمكانه كشأن الأقوياء أن ينهي حياتهم جميعاً ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم ، وابن أخٍ كريم ، قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

هذا الكمال ، هذا الذي يرضي الله عز وجل أن نتخلق بأخلاق الله ، في بعض الآثار : تخلقوا بأخلاق الله .

الدكتور بلال نور الدين :

الله هو العفو :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

[سورة البقرة]

وفي رواية سيدي : قال : لا أقول لكم كما قال يوسف لأخوته :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
قَالَ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

[سورة يوسف]

العفو والصفح سمة من سمات الأنبياء :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

يوجد ملمح بالقصة مذهل ، ما ذكر قضية البئر ، البئر فيه موت نهائي ، ذكرهم بشيء لا يؤخذون عليه كما ينبغي .

الدكتور بلال نور الدين :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً **وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

[سورة يوسف]

ما ذكرهم بجريمتهم : **(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) .**

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أيضاً عزاه إلى الشيطان ، كل حرف بالقرآن له حكمة ، كل حرف له ملمح ، له استنباط ، له منهج ، كلام الله ، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه .

الدكتور بلال نور الدين :

سيدي ؛ هذه السمة ، العفو ، والصفح ، والتجاوز عن الآخرين ، الإنسان أحياناً بطبعه يميل إلى الانتقام ، كيف يضبط نفسه ؟

كيفية ضبط النفس :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا أعتقد لا يوجد عطاء من الله يفوق أن تؤتى الحكمة ، الحكمة أكبر عطاء إلهي ، كما قلت قبل حين : بالحكمة تجعل العدو صديقاً ، بالحكمة تجعل الزوجة الأقل مما ينبغي كما ينبغي ، بالحكمة تجعل المال القليل فيه بركة ، وبلا حكمة تتلف المال الكثير فالحكمة أكبر عطاء إلهي ، ما قال الله : ومن يكن حكيماً ، وما قال : ومن يأخذ الحكمة ، الحكمة لا تؤخذ ، ولكنها تؤتى .

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)

[سورة الطلاق]

الدكتور بلال نور الدين :

(فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) في العفو والصفح .

أيضاً سيدي لو بقينا في دائرة عفوه وصفحه صلى الله عليه وسلم الانتقام لله ، للدين ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا الأمر فيه علاقة بدين الله عز وجل ينتصر لدينه .

انتصار النبي صلى الله عليه وسلم لدينه :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

هذا وسام شرف ، أن تنتصر لنفسك ، ما عرف قدرك ، ولم يقف لك مثلاً ، أو أعطاك ملاحظة هو محق بها أمام الناس ، انزعجت ، هذا انتقم لنفسه ، أما حينما ينتصر الإنسان لله فهذا شيء طبيعي جداً ، يقبل ، وهذا وسام شرف ، هناك أعمال معلقة بالجهة أي مع جهة معينة وسام شرف ، خضع لوالدته ، هو أقوى منها بكثير ، لكن لأن الوالدة لها مكانة كبيرة جداً .

لذلك عندنا شيء اسمه : حرف عطف ، له معنى آخر ، المعنى النحوي : حرف عطف ، البلاغي تماثل ، قال :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23)

[سورة الإسراء]

هنا بلاغياً تماثل ، رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته .

الدكتور بلال نور الدين :

إذاً الإنسان سيدي قد يكون قادراً على الانتقام ، قادراً على الفعل ، لكنه يرقى إلى الله حينما يعارض طبعه ، ويستجيب لأمر الله .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

والعفو عند المقدرة ، إن لم تكن قادراً عليه لا قيمة لعفوك عنه .

خاتمة وتوديع :

الدكتور بلال نور الدين :

جميل جداً ! لأنه لا يستطيع أن يصفح ، لكنه يقدر أن ينتقم ، وكما مرّ معنا في الطائف يوم مكنه الله تعالى منهم ، قال : الله اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون .

بارك الله بكم سيدي ، شكراً لكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ لي في نهاية هذا اللقاء إلى أن أشكر لشيخنا ما تفضل به ، كما أشكر لكم حسن المتابعة ، أرجو الله تعالى أن تكونوا دائماً بخير ، وعافية وصحة ، وفضل، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نور الدين الاسلامي